

رحاب عمر بن الخطاب

العمرية في



## الفصل الثامن :



## العمرية سلوك إيماني

رحاب عمر بن الخطاب



العمرية في

obeyikandali.com

## العمرية سلوك إيماني

كل الناس يعرفون أنهم سيموتون ، ثم يبعثون ، فيقفون بين يدي الله يحاسبهم على كل كبيرة وصغيرة ، تلك المعرفة يقينية ، لا يتطرق إليها أدنى ذرة من الشك ، ومع ذلك فهناك حاجز بين تلك المعرفة وتأثيرها فى حياتهم ، فسلوكهم فى الحياة وأفعالهم وتصرفاتهم لا تنبئ عن تلك المعرفة ، ومن يتأمل أفعالهم لا يجزم أن وراء تلك الأفعال رصيد من تلك المعرفة اليقينية .

بم نسمى تلك الحالة ؟

أو بم نشخصها ؟

هل لأن الحياة – كما يقولون – أخذتهم فى دوامتها الهائلة ، فأصابتهم بالدوار وأفقدتهم اتزانهم وسداد رأيهم وصائب أحكامهم ؟

أم أن للحياة الدنيا سيطرة وهيمنة وإغراء تجعلهم لا يقدرّون على مقاومتها ؟

أم أنهم أضعف من أن يقفوا أمام هذا التيار العاتى متزنين ليعطوا كل شىء حجمه

الحقيقى ، ويضعوا كل شىء فى مكانه الصحيح ؟

ربما يكون كل ما سبق يشخص الحالة .

وربما يكون السبب فى ذلك أن تلك المعرفة اليقينية لم تتحول إلى إيمان! شتان بين

المعرفة والإيمان .

المعرفة لا يلزم أن تترجم إلى فعل ، لأن نطاقها العقل تبدأ منه وتنتهى إليه فهى

مجرد عملية إدراكية ، أو إدراك بواسطة حاسة من الحواس وقد لا يترتب عليها إيمان ، بل

قد ينتج عن المعرفة كفر وجحود وإنكار .

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (١)

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٣)

المعرفة هنا لم تنرق في طريقها الطبيعي وتتحول إلى علم ، لأن الشيء المنطقي أنى أدرك الشيء بحاسة من الحواس ، ثم بعد ذلك أدرك حقيقة الشيء وهذا هو العلم ، فالعلم هو الطريق إلى الحقيقة ، وكثيرون لا يصلون إليها في تلك الحياة .

﴿...وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

﴿...فَلِمَ تَحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٥)

ومن قدر له أن يصل إلى الحقيقة عن طريق العلم فبعض من الله وتوفيقه

﴿ أبلغكم رسالت ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ (٦)

﴿ قال إنما أشكوا بني وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ (٧)

﴿...قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ (٨)

ويترقى العلم إلى إيمان ، والإيمان يلزم عنه فعل وعمل ، وليس أى عمل

١- سورة البقرة : الآية ٨٩ .

٢- سورة البقرة : الآية ١٤٦ .

٣- سورة النحل : الآية ٨٣ .

٤- سورة البقرة : الآية ٢١٦ .

٥- سورة آل عمران : من الآية ٦٦ .

٦- سورة الأعراف : الآية ٦٢ .

٧- سورة يوسف : الآية ٨٦ .

٨- سورة يوسف : الآية ٩٦ .

﴿ وَدَثِرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ... ﴾ (١)  
 ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢)  
 ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ... ﴾ (٣)  
 ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا... ﴾ (٤)

فالأعمال الصالحة مبعثها الإيمان ، ومن هنا جاء الصلاح ، والصلاح يدل دلالة واضحة على وجود الإيمان ، وكأننا لا ننتظر عملاً صالحاً من رجل بلا إيمان لأن الإيمان هو الدافع والحافز ، وبدونه ينتفى الحافز إلى العمل الصالح .

وهذا هو الإيمان الحق ، يشحذ النفس الإنسانية ، نور يشيع في النفس يضيء كل الجوانب المظلمة ، ويطهرها من كل ما من شأنه أن يطمس نقاءها وتقواها وعدم التفرقة بين المعرفة والإيمان ، ربما يكون سبب الأزمة التي تعيش فيها الشعوب الإسلامية .

ففي زماننا هذا نسمع عن صحوة إسلامية ، ازداد الناس معرفة بالدين . تجده هذا في أحاديثهم إذا اجتمعوا رجالاً أو نساء ، شيوخاً أو شباناً ، جل أحاديثهم في الدين ، هذا حرام ، هذا حلال ، سواء أكان في المطعم أو المشرب أو الملابس أو المكسب ، الجرائد والمجلات تخصص مساحات لا بأس بها فضلاً عن جرائد ومجلات متخصصة في الدين برامج التلفاز تخصص ساعات متواصلة لتقديم برامج متصلة من قريب أو بعيد بالدين تلك البرامج والقنوات أفرزت دعاة ورجال دين لا بأس بهم يشغلون الناس ويشاغلونهم

١- سورة البقرة : الآية ٢٥ .

٢- سورة البقرة : الآية ٢٧٧ .

٣- سورة آل عمران : الآية ٥٧ .

٤- سورة الأعراف : من الآية ٤٢ .

العمرية في ← رحاب عمر بن الخطاب

بأمور قد تكون من صلب الدين أو لا تكون . إنهم يملأون أوقات الناس أفضل من أن تملأ بما تبثه القنوات الضالة والمضلة .. هذا شيء طيب ، وندعو الله أن يزداد أكثر وأكثر ويقترب الناس ويتنبهون إلى دينهم ، لأن ذلك هو العاصم من كل شرور ومصائب الحدثنان .  
ولكن ثمرة كل هذا ... أين هي !؟

المفروض أن ينعكس كل هذا على حال المسلمين .

تتطور حياتهم ، ترتقى أوضاعهم ، يقوى بنيانهم ، يهاب جانبهم تتوحد صفوفهم تعلقو كلمتهم .... الخ

فمثلا العرب قبل مجيء الإسلام كانت أمة ضالة ، تكاد لا تذكر في العالم حفنة من القبائل والجماعات الرحل ، وفئة تعمل بالتجارة ، يتسكعون على بوابات أسياذ العالم، في ذلك الوقت ، ويخطبون ودهم ورضاهم ، وينظر العالم إليهم نظرة الاستخفاف والاحتقار والهوان ، وتلك النظرة لم تكن متجنية على العرب أو فيها غبن أو ظلم ، فليس لدى العرب آنذاك – ما يقدمونه ، وليس لدى العرب ما تحرص عليه بقية شعوب العالم ، كى يتقربوا إليهم زلفى ، وليس لدى العرب ما يجعل بقية الأمم تخاف من شأنهم أو تهاب أمرهم وجاء الإسلام !

وفى مدة وجيزة تكاد لا تذكر فى عمر الأمم ، ومراحل الشعوب أصبح العرب قوة عالمية ، بل القوة العالمية الوحيدة . ونشرت الخير والعدل والسلام فى أنحاء العالم .

هذا أثر الإسلام فى الجماعة .

هذه هى الثمرة .

هذا هو الحصاد .

هذه هى النتيجة .

فما بالناس في الحاضر لا نجد ثمرة ولا حصادًا ولا نتيجة؟!  
والدين هو الدين ، والعقيدة هي العقيدة لم يتغيرا .  
إذن الذي تغير هي النفوس .  
هناك عنصر مغيب عن المعادلة ، لذلك لم تخرج بالنتيجة .  
هذا العنصر هو الإيمان .  
هناك أزمة إيمان ... أو قل أزمة عمل .  
الإيمان الذي يجعل الإنسان ينسى نفسه ، ولا يتذكر إلا أنه فرد في أمة لها حقوق  
ولابد أن تؤدي تلك الحقوق لأنها من صلب الدين ، والتخلي عنها يعتبر خيانة كبرى في  
حق الله أولاً ، وفي حق تلك الأمة ثانياً .  
وعمل لابد أن ينجز في أكمل صورة وأتم معانيها ، والتقاعس عن تأدية هذا العمل  
يعتبر نقضاً للعهد الذي بينه وبين الله ، وبينه وبين أمة محمد ﷺ .  
وطالما لم ترتق تلك الأمة ، وتأخذ مكانها اللائق بها بين الأمم ، وطالما لم تستجمع  
أسباب القوة في هذا العصر بجميع صورها وأنواعها . فلتشك تلك الأمة في قوة إيمانها  
وليراجع كل فرد من أفرادها إيمانه وعمله .  
إيمان بلا عمل لا قيمة له .  
وعمل بلا نتيجة لا جدوى منه .  
نتيجة لا تساهم في رقي تلك الأمة هي نوع من الإفلاس .  
أما إيمان عمر ، فهو إيمان يصل به لا إلى أنه سيقف في يوم ما بين يدي الله  
يحاسبه ، بل يجعله يشعر أنه الآن في اللحظة الآنية التي يعيش فيها – بين يدي الله وهو  
حي ، وهو سائر في الأسواق ، وهو يتعسس وهو يأكل وهو يشرب ، وهو نائم، وهو صامت

العمرية في ← رحاب عمر بن الخطاب

وهو يتحدث الموت لا يمثل له انتقاله بين عالمين ، لا يوجد لديه هذا الانفصال الحاد بين العالمين ، فالله مطلع عليه في الأولى ، ومطلع عليه في الثانية ، فهو ميت وهو حي ، وهو حي وهو ميت . وهذا يوضح سلوكه بعدما طعن لم يشغله شيء مما يشغل المتيقن من الموت المقبل عليه ، وإنما شغله – ما كان يشغله دائماً – حال المسلمين ... من الذي سيتولى الخلافة بعده ؟؟

لا وضرر ولا أجر

ما الذي يمنع عمر أن يولي الخلافة ابنه (عبد الله) ؟

- مواصفات (عبد الله) ... تجتمع في (عبد الله بن عمر) كل المواصفات التي تؤهله لأن يكون خليفة ، التقى والعلم والعفاف .. إلخ وقبل كل هذا فهو تربية عمر .
- اعتراض ... لا أحد يعترض إذا خرج عمر على المسلمين مسمياً الخليفة الجديد بأنه (عبد الله بن عمر) فليس هناك ما يمنع عبد الله أن يكون خليفة .
- احتجاج ... لن يحتج أحد ... أن (عبد الله) قد أخذ حقه ، فالخلافة لم تكن من حق أحد من المسلمين ، ولن يوصى الخليفة بمن يأتي بعده ، ليس أمام المسلمين في تلك اللحظة إلا السمع والطاعة . وشيء طبيعي أن يؤثر الخليفة أو الحاكم ابنه على الآخرين ، حتى ولو تساوى ابنه مع الآخرين فهو يرجح كفه ابنه المنطق الغريزي يؤكد هذا الترجيح ... وليس كون (عبد الله) أنه ابن الخليفة ذنباً يعاقب عليه ويبعده عن الخلافة ويجعله لا يطمح أن يكون في يوم من الأيام خليفة .

- الخلافة ممنوعة عن ابن عمر... لا لشيء إلا لأنه ابن الخليفة "حين دعى للقاء ربه ، واقتربت اللحظات التي سيودع فيها دنيا الناس ، وكانت مشغلتة الكبرى آنئذ اختيار الرجل الذى يسلمه الأمانة والزمّام ، اقترب منه (المغيرة بن شعبة) قائلاً له : أنا أدلك عليه يا أمير المؤمنين ، إنه (عبد الله) هنالك انتفض (عمر) وقال : (لا إرب لنا فى أموركم إني ما حمدتها) يعنى الخلافة - فأرغب فيها لأحد من أهل بيتى .

إن كانت خيراً فقد أصبنا منه .

وإن كانت شراً ، فبحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ، ويسأل عن أمر أمة محمد ... إلا أنى قد جهدت نفسى وحرمت أهلى ، وإن نجوت كفافاً لا وزر ولا أجر إني لسعيد" (١)

الخلافة عبء ومسئولية ثقيلة ، وإذا كانت مقدرة على عمر ، وتحملها ، ولا يعلم هل أدى الأمانة أم قصر؟ لا ، لا أحد من آل الخطاب يتولى الخلافة بعده ... لقد أشفق على ابنه منها ... وأخذ عمر يستشير هذا ويشاور ذلك ، ما فعله وما فكر فيه تفكير رجل الموت لا يمثل له أمراً ذا بال ، لا تشغله نفسه عن أمور المسلمين ، ورد على أناس طلبوا أن يحضروا له الطبيب فقال لهم : "ويحكم أيها الناس أأنظر فى أمر نفسى قبل أن أنظر فى أمور المسلمين"

وأرادها ولأول مرة شورى بين المسلمين : "قال : ادعوا لى علياً وعثمان وطلحة والزبير وابن عوف وسعد بن أبى وقاص . فلم يكلم أحداً منهم غير على وعثمان فقال يا على لعل هؤلاء القوم يعرفون حقلك وقرابتك من رسول الله ﷺ وصهرك وما آتاك الله من الفقه

١- بين يدي عمر- خالد محمد خالد - (٥٤) .

والعلم ، فإن وليت هذا الأمر فاتق الله فيه . ثم دعا عثمان فقال : يا عثمان لعل هؤلاء القوم أن يعرفوا لك صهرك من رسول الله ﷺ وسنك وشرفك فإن وليت هذا الأمر فاتق الله . قال ادعوا لى صهيبياً فدعى له فقال : صل بالناس ثلاثا وليخل هؤلاء القوم فى بيت ، فإذا اجتمعوا على رجل فمن خالف فاضربوا رقبتة فلما خرجوا من عنده قال : أن تولوها الأجلح يسلك بهم الطريق ؟ ، فقال ابنه : فما يمنعك يا أمير المؤمنين ؟

قال : أكره أن أتحملها حيا وميتاً"

هل هناك قوة إيمان بعد ذلك ؟

رجل يعرف ألا مناص من الموت ، ينزف دمًا من أثر الطعنة القاتلة ، ينتظر الموت بين لحظة وأخرى ، ووهن الموت يتسرب إلى جسده والباكون حوله ينتظرون اللحظة الفارقة

الإسلام .

المسلمون .

لا شاغل يشغله عنهما .

والدقائق الأخيرة من حياة عمر - وكل دقائق حياة عمر كانت أخيرة بالنسبة له مهمة للغاية ، فهى دقائق كاشفة عن معدن أى رجل ، تلك الدقائق المعدادات تلخص حياة طويلة عريضة ، حياة شريفة نبيلة .

يستخلف أم لا يستخلف .

كلا الأمرين جائز أمامه .

فإن لم يستخلف فقد اقتدى بالرسول ﷺ .

وإن استخلف فقد اتبع أبا بكر الصديق

يعز عليه ألا يقتدى بنبيه ، ويصعب عليه ألا يتبع صاحبه .

فليجمع بين الأمرين ، يستخلف ولا يستخلف في نفس الوقت ويخرج بأمر ثالث لا قبل للمسلمين به ، ومبرر اختياره للصحابة الأجلاء بعينهم دون غيرهم ، أن الرسول ﷺ مات وهو عنهم راضٍ ، مبرر حق وصدق ، وكان ضمن الستة الصحابيِّ (سعد بن أبي وقاص) وكان عمر قد عزله ، وخشى أن يظن الناس أنه عزله عن مظنة ، فأراد أن يبرىء ساحة سعد ، قال : "فإن أصابت الإمرة سعدا ، فهو ذاك وإلا فليستعن به أيكم ، فإنني لم أعزله من عجز ، ولا خيانة"

الجرح القاتل ينزف ، والجسد يضعف ، واليقين يقترب شيئا فشيئا ومع ذلك لا ينسى عناصر الأمة الإسلامية فيوصى بها عنصرا عنصرا "أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرفتهم ، وأوصيه بالأنصار خيرا ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ... ﴾<sup>(١)</sup> أن يقبل من محسنهم ، وأن يعفو عن مسيئتهم وأوصيه بأهل الأمصار خيرا فإنهم رءء الإسلام وحياة المال وغيظ العدو وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم وأوصيه بالأعراب خيرا ، فإنهم أصل العرب ، ومادة الإسلام . أن يأخذ من حواشى أموالهم ويرد على فقرائهم ، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، وألا يكلفوا إلا طاقاتهم"

رجل لم يخرجته انتظار الموت عن مألوف عاداته ، وكأنه آل على نفسه ألا يترك مسئوليتها إلا مع آخر نفس يتردد فى هذا الجسد المسجى الممزق الأديم .

١- سورة الحشر : من الآية ٩ .